

المحاضرة الثامنة

دراسة مجتمع النواصي "وليام فوت وايت" William Fovte Whyte

المجال الجغرافي والزمني للدراسة:

لقد قام بدراسة منطقة إيطالية حضرية متخلفة (كورنفيل) في بوسطن في الفترة ما بين 1937م و1940م.

المنهج المستخدم:

لقد قام بالدراسة بمفرده ما عدا بعض المساعدة من طرف زميل له وزوجته، منهجه هو الملاحظة بالمشاركة، وقد بلغ عدد سكانها حوالي 20 ألف نسمة.

مواضيع الدراسة:

لقد قام خلال الدراسة بمجموعة من البحوث وتناول مواضيع متنوعة وهي كالتالي:
أولاً: أشار إشارات طفيفة إلى الأسرة والكنيسة والمدارس والقطاع الرسمي من الاقتصاد المحلي. (دراسة النظم الاجتماعية لهذه المدينة).

ثانياً: موضوع البحث هو العلاقة المتبادلة بين الجمعيات التطوعية للشباب في كورنفيل والمقاومة المنظمة والسياسة، حيث وصف "وايت" في القسم الأول من كتابه تطور جمعيتين شارك فيهما، وهما عصابة النواصي التي يطلق عليها "نورثونز" "Nortons"، وجمعية صغيرة يطلق عليها النادي الإيطالي المحلي "Italian Community Club" وأعضاء النورثونز من صبية النواصي الذين لا تتعدى طموحاتهم وفرصهم المجتمع المحلي، أما أعضاء النادي الإيطالي المحلي فهم جامعيون يتطلعون إلى وضع المجتمع الأكبر.

إنّ قضية "النورثونز" هي إلى حد كبير قصة "دوك" "Doc" قائد النورثونز أيام مجده الأولى، ثم ضياع هيبته كقائد حالة البطالة الدائمة التي عانى منها وبين الوفاء بالالتزامات القيادة ودفعته في النهاية إلى قطع صلته مع زممرته.

إنّ قصة النادي الإيطالي المحلي، فهي إلى حد كبير قصة قائده "شيك موريللي" وهو انتهازي بلا مبادئ على دراية جيدة بالبناء الاجتماعي لكورنفيل. وهي قصة التناحرين أسود باريتو وثعالبه في صورة مصغرة، وكانت عواطف وايت كلها مع الأسود قليلة الحظ، حيث أشار في جزء من كتابه أنه تحول من ملاحظ غير مشارك إلى مشارك غير ملاحظ وأنه يشعر بقرب اتجاه النورثونز منه إلى النادي الإيطالي المحلي

ومن السلوكيات النمطية التي اكتشفها "وايت" في كورنفيل أن صبية النواصي يعتنقون القيم المحلية. أما الطلبة الجامعيون فأنهم يعتنقون القيم الغير محلية، المعنى أن صبية

النواصي يحافظون على الفضائل الاصلية لمجتمعهم المحيط بهم، في حين نجد أن طلبية الجامعة الذين تأثروا بالإخصائيين الاجتماعيين وغيرهم من مؤسسات المجتمع الأكبر تناسوا التزاماتهم حيال بعضهم بعضا حتى سباقهم من اجل الحراك الصاعد.

ثالثا: تناول القسم الثاني من كتابه دراسة للبناء الاجتماعي لابتزاز الأموال في كورنفيل، وكان المبتزون يسيطرون على لعبة الأرقام ويتحكمون فيها ويحرصون على مهادنة الشرطة وتوطيد علاقاتهم مع البناء السياسي الذي يشبع الولاء العرقي والاحتياجات المحلية ومن مميزات هذه الدراسة هو الكشف عن النسق من أسفل الى أعلى (وقد تم الحديث عن كيفية خضوع نادي اجتماعي ورياضي صغير لأحد المبتزين والاشارة الى الدور الصغير والمهم الذي قام به ذلك النادي ضد المبتزين في انتخابات المدينة).

رابعا: لقد قام بدراسة منطقة حضرية متخلقة مع نهاية الكساد العظيم، كان مهتما اهتماما ظاهريا بالجانب الأسود من حياتها (البطالة والإسكان المتخلف، الرشاوي، المرتبات الثابتة التي تدفع رجال الشرطة والفساد السياسي والخدع الانتخابية والفرص المحدودة).

خامسا: يعتبر "وايت" في كل تدرج طبقي في كورنفيل نسقا من ثلاثة مستويات يتألف من صغار القوم وكبارهم ووسائطهم، وصيبة النواصي هم صغار القوم. أما المشرفون والساسة فهو عليا القوم، أما قادة عصابات النواصي فهم الوسطاء الذين يصلون بينهما ويمتد هذا النمط الى التدرج الهرمي فوق الطبيعي، حيث ان العباد شأنهم في ذلك صغار القوم يتخذون من القديسين وسطي ليشفعا لهم عند عليا القوم.

وقد اتضح ان النظام الطبقي الخاص بهذه المنطقة نظام طبقي دقيق، إذا ان التدرج الطبقي في كورنفيل يضم أكثر من هذه الفئات المتدرجة العامة. حيث يتم بوضوح أن مكانة الفرد تقيس مقدرته، النسبية عن الامتثال لقيم الجماعة. ويكون القائد هو في كل الأحوال النقطة المحورية لبناء الجماعة وممثلها أمام العالم الخارجي، والقائم بدور الحكم في الداخل وهو الذي يبادر بأنشطتها الجماعية وتكون العلاقات الهامة تلقائية مع خاصيه وليس مع تابعيه وأعوانه، وتحدث التغييرات في القيادة عن طريق حدوث تحول في العلاقات وهي من يتربعون على قمة البناء وليس بصعود من يقبعون في القاع.

سادسا: لعبة البولينغ Bowling تعد أحد الأنشطة السياسية في زمرة دوك "Doc" وهم يعلقون أهمية كبيرة على المهارة في ممارسة هذه اللعبة. وقد افترض "وايت" في البداية ان مهارة الفرد في لعب البولنغ تضيف الى مكانته في الجماعة، ولكنه انتهى ان العكس هو الصحيح، إذ أصبحت مكانة عضو الجماعة هي التي تحدد مهارته في البولنغ، وينخفض مستوى أداء الأعضاء ذوي المرتبة المنخفضة بفعل الضغوط الجافة والجادة من الجماعة (حيث من التجربة الذاتية للباحث؛ أي قام يلعبها مع تدعيم أصدقاء له) قد لمس تأثير الجماعة على الفرد (إعطاء الثقة أكثر).